أثر قوانين العربية في التفسير بالمأثور في تفسير الطبري (ت٣١٠هـ)

الكلمات المفتاحية : قوانين العربية، المأثور، الطبريّ

بحث مستل من رسالة ماجستير

زينب عبّاس موسى شكر **أ.د. عثمان رحمن حميد الأركيّ**
المديرية العامة لتربية ديالى **جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية**
zaineb_abaas@outlook.com **Dr.othman1@yahoo.com**

الملخص Abstract:

نسلط الضوء في هذا البحث على أثر قوانين العربية (قواعد النحو) في التفسير بالمأثور، الذي يشمل حديث النبي مُحَمّد – صلى الله عليه وآله وسلّم– وأقوال الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم – في تفسير الطبريّ، عن طريق رؤيتين: رؤية أهل التفسير، ورؤية أهل العربيّة؛ وصولًا إلى الدّلالة النحوية القرآنية؛ إذْ قام البحث بدراسة تطبيقية في عدد من آيات القرآن الكريم في إيضاح وجوه متعددة لأثر قوانين العربية في التفسير بالمأثور.

المقدمة Interaction:

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيد المرسلين، سيّدنا مُحَمّدٍ ، وعلى آله وصحبه أجمعين. أمّا بعد..

إنَّ قوانين العربية ما هي إلّا ضوابط ومقاييس وضعها النحويون، راعوا فيها نمطًا من القواعد التي تقوم في ضوئها النصوص اللغوية المتمثلة في كلام العرب (شعرًا ونثرًا)، ويُكشَف بها عن دلالة النصوص القرآنية، ولاسيّما (الدّلالة النحوية القرآنية).

ولمّا كانَ التفسير بالمأثور هو أوّل أنواع التفسير ظهورًا ومصاحبًا لنشأة النحو؛ فمن الطبيعي أَنْ نجد المفسرين قريبين من النصوص النَّحويّة؛ محاولين دمج النصوص التأويلية ضمن المكون النّحويّ؛ لعلمهم أَنَّ نُظم القُرآن الكريم وخصائص ألفاظه لا تخرج عن أساليب العرب وأنظمتهم في التعبير.

لذا كانَ اتجاه المفسرين والنّحاة في التفسير يهدف إلى الوصول إلى معنى النص القُرآني، فهنا رأيتُ أَنْ أعرض آراءهم؛ لإظهار أثر قوانين العربية في التفسير بالمأثور، الذي يشمل حديث النبي مُحَمّد – صلى الله عليه وآله وسلّم – وأقوال الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم – ، عن طريق رؤية إمام المفسرين الطّبريّ (ت ٣١٠هـ) – رحمه الله – بالاعتماد

على وجهات نظر المفسرين وأهل العربية في إظهار ذلك الأثر (أثر قوانين العربية في التفسير بالمأثور)؛ وصولًا إلى الدلالة النحوية القرآنية الصحيحة.

ويمكننا أَنْ نتلمس أَثر قوانين العربيّة في التفسير بالمأثور في الكشف عن الدلالة النَّحويّة القُرآنية من عِدَّة وجوه؛ لذا اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على أربعة محاور، لإيضاح ذلك الأثر:

أوَّلًا: تأكيد صحة المأثور بالقاعدة النحوية:

First: The Validity of verification of saying in rules syntactic:

عُني اللُّغويونَ والنُّحاة والبَلاغيونَ العرب القدماء – ومُنْذُ عهدٍ مبكرٍ– بوظائف النَّحو (القوانين النَّحوية) أو معانيهِ ؛ بوصفه عنصرًا حاسمًا مِنْ عناصرِ تحديد الدَّلالة؛ لأنَّهم اتخذوا مِنْ تلك القوانين سبيلًا إلى فَهم النُّصوص، ومنها النَّص القُرآني[١]، ومثال ذلك قولهِ تعالى: {وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ}[٢].

فقَدْ ذكرَ الطَّبريّ اختلاف أهلِ التأويل في معنى (النَّجم) في هَذا الموضع، مَعَ إجماعِهم على أنَّ (الشّجر) ما قام على ساقٍ، ومن هذهِ الأقوال:

القول الأوَّل: عُني بالنَّجم في هذا الموضع مِنَ النَبات: ما نَجَمَ منَ الأرض؛ أي: ممَّا ينبسطُ عليها، ولم يكنْ على ساقٍ، وذكرَ روايةً عَنْ ابن عباس في قولهِ: (والنَّجم) قال: ما يُبسَط على الأرض، ونقلَ روايةً عَنْ (السّديّ) وأخرى عَنْ (سفيان) بالمعنى نفسه، وبهِ قال أهلُ اللُّغة وأكثر أهلِ التفسير[٣].

القولُ الثاني: عنى بالنَّجم في هَذا الموضع: نجم السّماء، وقَدْ ذكرَ– الطَّبريّ– روايةً عَنْ (مجاهد)، وثلاث رواياتٍ عَنْ (قتادة) بِهذا المعنى[٤].

وذهبَ الطَّبريّ إلى أنَّ ((أولى القولينِ في ذلك بالصواب قولَ مَنْ قالَ: عنى بالنَّجم: ما نجم منَ الأرض منْ نبت لعطفِ الشَّجر عليهِ، فكان بأنْ يكون معناهُ لذلك: ما قامَ على ساقٍ وما لا يقومُ على ساقٍ يسجدانِ لله ، بمعنى أنَّهُ تسجد لهُ الأشياء كلُّها المختلفةُ الهيئاتِ مِنْ خلقهِ، أشبه وأولى بمعنى الكلام مِنْ غيرهِ))[٥]؛ لأنَّ ((معنى العطف الاشتراك في تأثير العامل))[٦] فإنْ قيل: لو كانَ معنى (النَّجم) نجم السّماء، صُحَّ أيضًا أنْ يُقال: النَّجمُ الذي في السَّماء والشَّجر الذي على الأرض يسجدانِ وهُما أيضًا من الأشياءِ المختلفةِ الهيئاتِ مِنْ خلقهِ، ونحنُ نعلمُ أنَّ ((لفظَ النَّجم واسطة الانتقال لصلاحيتهِ؛ لأنَّهُ يُراد منهُ (نجوم السّماء)، وما يُسمى نجمًا مِنْ نباتِ الأرضِ))[٧]– كما بيّنا– نقول: ((فالإخبار بسجودِ النّجم والشّجر

أوريد بهِ الإيقاظ إلى ما في هذا مِنْ الدَّلالة على عظيمِ القُدرة دلالة رمزية؛ لأنّه لمّا اقتضى المَقام جمع النظائر مِنَ المزاوجات بعد ذكر الشَّمس والقَمر كان ذلك مقتضيًا سلوك طريقةِ الوصل بالعطف بجامع التَّضاد))[٨]. هَذا يعني أنَّهُ لَمَّا عُلِمَ أنَّ المَقامَ هُنَّا جمع النَّظائر مِنَ المزاوجات بدليل قولهِ: (الشَّمس والقَمر)، الذي سبق قوله: (والنّجم والشَّجر)، أصبح معلومًا أنَّ لفظ معنى (النَّجم) الذي مع لفظ (الشَّجر)، هو بمعنى (النبات) الذي لا ساق لهُ؛ لأنَّ معنى (الشَّجر)- وكما بيّنا- النباتُ الذي لهُ ساق ((فحصلَ مِنْ قولهِ: (والنَّجمُ والشَّجرُ يسجدانِ) بعد قولهِ: (الشَّمس والقَمر بحسبانِ): قرينتان متوازيتان في الحركة والسُّكون وهَذا مِنَ المُحسنات البَّديعة الكَاملة))[٩].

فضلًا عَنْ ذلك، نَلحظُ أنَّ عطفَ الجملةِ الثانيةِ قولهِ: (النَّجمُ والشَّجرُ يسجدانِ) على قولهِ: (والشَّمس والقَمر بحسبانِ) تُظهر صورةً مجازيةً لطيفةً، تؤيد ما ذهبَ إليهِ الطَّبريّ، وهو أنَّ الفعل(((يسجدان) مستعملٌ في معنيينِ مجازيينِ وهُما الدَّنو للمتناول والدَّلالة على عظمة اللهِ تعالى بأنْ شبّه ارتسام ظلالها على الأرض بالسِّجود، كما قال تعالى: { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ }[١٠]))[١١].

ثانيًا: أثرُ قوانينَ العربيةِ (أساليب العرب) في المأثور في إيضاح الدَّلالة النَّحويّة :

Sceond: The effect of Arabic Standards (Arabic styles) in saying in term of illustratin syntactic markers:

مِنْ أساليبِ العرب المعروفة أنَّها ((لا تحذفُ مِنَ الكلام شيئًا لهم إليه حاجة إلّا وقد أبقت دليلًا على أنَّهُ مرادٌ مِنَ الكلام))[١٢]، كما في قول تعالى: {وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ }[١٣].

فقد نقلَ الطَّبريّ اختلاف أهلِّ التأويل في قوله: (فظنّ أنْ لن نقدرَ عليهِ)

وجاء على ثلاثة أقوال:

القول الأوّل: معناهُ: فظنّ أنْ لن نعاقبه بالتضييق عليه مِنْ قولهم: (قدرت على فلان: إذا ضيّقتُ عليه)، ونقلَ روايةً عَنْ ابن عباس، وعَنْ مجاهد، والكلبي والضّحاك في معنى ذلك.اختاره الفَرَّاء [١٤] والزَّجاج[١٥] وإليه ذهبَ الطَّبريّ.

القول الثاني: فظنَّ أنَّهُ يعجز ربّه فلا يقدر عليه، ونقلَ عَنْ الحسن، وعَنْ إياس بن معاوية المدنيّ في معنى ذلك، وهذا مردود؛ لأنَّهُ لا يصلحُ أنْ ينسب الكفر إلى نبيٍّ قَدْ اختارهُ اللهُ .

القول الثالث: نقلَ عَنْ زيدٍ أنّه استفهام، وتأويله: أفظنَّ أنْ لن نقدرَ عليه؟[١٦]، وخطّأهُ الطَّبريّ، ودليله في ذلك أنّهُ ليس من أساليب العرب المعروفة، إذْ يقول: ((أمّا ما قالهُ ابن زيد، فإنَّهُ قول لو كان في الكلام دليل على أنَّهُ استفهام حسن... والعربُ لا تحذف مِنَ الكلام شيئًا لهم إليه حاجة إلَّا وقَدْ أبقتْ دليلًا...))[١٧]، نُقِلَ عَنْ الأصمعي أنَّهُ قال: ((ما حذفت ألف الاستفهام إلّا وعليها دليلٌ))[١٨]، ويقول ابنُ جنيّ : ((وقَدْ حذفتْ العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء مِنْ ذلك إلَّا عَنْ دليلٍ عليه، وإلّا كان فيهِ ضربٌ مِنْ تكليفِ علم الغيبِ في معرفته))[١٩].

ونقلَ النَّحَّاس عَنْ الأخفش في تعليقه على مَن ذهبَ إلى وجود الحذف في قوله: {وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ}[٢٠]، يقول: ((وهذا لا يجوز لأنَّ ألف الاستفهام تُحدثُ معنى وحذفها محال))[٢١].

يتضح لنا مِنَ الشَّواهد السَّابقة صحة ما ذهبَ إليه الطَّبريّ في اعتماده أساليب العرب في تخطئته لقول ابن زيد الذي ذهبَ إلى أنّ معناه: استفهام، وأَنَّ تأويل الآية: (أفظنَّ أنْ لن نقدرَ عليهِ؟)، فضلًا عَنْ ذلك فإنَّ مِنْ شأن ((العرب إذا وجهوا الاستفهام إلى التَّوبيخ أثبتوا ألف الاستفهام أحيانًا وطرحوها أحيانًا))[٢٢]، وهذا لا يتفقُ مَعَ ما ذهبَ إليه ((جمهور مِنَ العلماء مِنْ أنَّ معناها: فظنَّ أنْ لن نضيّقَ عليه، منْ (قدِر عليه رزقَهُ أي: ضيّق وقتّر))[٢٣]؛ لأنَّهُ إذا وجّه على ما قاله ابن زيد مِنْ أنَّهُ استفهام محذوف أصبحتْ الآية محتملة التأويلينِ، وبِهذا يدخلُ في تأويلهِ معنى التّوبيخ، وهذا مخالف لرأي الجمهور– كما أسلفنا–، يقول الدّكتور فاضل السامرائي: ((فإنْ كان في التّعبير القُرآني قرينة تصرفه عَنْ ظاهره وتسلمه مِنَ التناقض صحَّ))[٢٤]؛ فبها ((نعرف الذِّكر والحذف وخروج الكلام عَنْ الظاهر))[٢٥].

وبهذا يظهرُ أثرُ قوانينِ العربيةِ في إيضاح دلالة (ظن) في الآية، من تخطئة قول مأثور: بوجود الحذف في (ظنَّ)؛ لأنَّهُ خارج عَنْ أساليب العرب الصحيحة؛ لذلك نجد الطَّبريّ في أكثر مَنْ موضع يؤكد ضرورة ((أنْ تكون معاني كتاب الله...لمعاني كلام العرب موافقة، وظاهره لظاهر كلامها ملائمًا))[٢٦].

ثالثًا: أثرُ قوانينَ العربية في الترجيح بين دلالتين محتملتين عن طريق تخطئة قول مأثور:

Third: The impact of Arabic rules in the weighting between the two possible meaning of misrepresenting an saying:

وقَدْ يُخطئ الطَّبريّ قولًا مأثورًا عن طريق توظيف قوانينَ العربية في إيضاح دلالة تحتمل أكثر مِنْ معنى وصولًا إلى دلالتها النَّحويّة القُرآنيّة الصحيحة كما في قوله تعالى: {وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ}[٢٧].

نقلَ الطَّبريّ اختلاف أهلِّ التّأويل في قوله: (فقليلًا ما يؤمنون)، وجاء في تفسيره. على قولينِ:

القول الأوّل: معناهُ: فقليلٌ مِنْ يؤمن مِنْهم، أي: لا يؤمن منهم إلّا القليل، ونقلَ روايتينِ عَنْ قتادة في هذا المعنى.

القول الثاني: أنَّ معنى الآية: فلا يؤمن إلّا بقليل ممّا في أيديهم، ونقلَ روايةً عَنْ معمر في هذا المعنى[٢٨]، أي: إنَّ القليل صفة الإيمان[٢٩]، وهو التَّأويل الذي ذهبَ إليه الطَّبريّ ورجّحه بقولهِ: ((وأولى التّأويلات في قوله: (فقليلًا ما يؤمنون) بالصواب... هو أنَّ اللهَ –جلَّ ثناؤه– أخبر أنَّهُ لعنَ الَّذينَ وصف صفتهم في هذه الآية، ثُمَّ أخبر عَنْهم أنَّهم قليلو الإيمان... ولذلك نصب قولهِ: (فقليلًا)؛ لأنَّهُ نعتٌ للمصدر المتروك، ومعناه: بل لعنَّهم اللهُ بكفرهم، فإيمانًا قليلًا ما يؤمنون. فَقَد تبيّن إذًا... فساد القول الذي روي عَنْ قتادة في ذلك))[٣٠]؛ لأنَّ الإيمان بالقليل والكفر بالكثير فَهُو كفر بلا شكٍّ، ورجَّح هذا القول أبو حيان الأندلسيّ[٣١]، وقيل: إنَّ هذا الاختيار عند اكثرهم[٣٢].

ثُمَّ يُعقّبُ الطَّبريّ مِنْ أنَّ ما ذهبَ إليهِ قتادة غير جائزٍ في لغة أحدٍ مِنَ العرب، ((تقول العرب: (قلّ الشَّيء) إذا لم يوجد، ويقال: (قلما رأيت مثل هذا) أي: (ما رأيت مثله)))[٣٣]، وحكى سيبويه: (قل رجلٌ يقول ذاك إلّا زيدٌ)[٣٤]، ونقل الفَرَّاء عَنْ الكسائيّ أنَّه حكى عَنْ العرب ((مررْتُ ببلاد قلَّ ما تنبتُ إلَّا البصل والكراث، أي: ما تنبت الا هذين))[٣٥]

وقيل: ((إنَّ (قليل) و(قلّ) و(أقل) قَدْ تُستعمل لمعنى النفي ولمعنى القلَّة))[٣٦].

وقِيلَ في معناه أيضًا: فيؤمنون قليلًا مِنَ الزمان كقولهِ تعالى: {ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ}[٣٧]، وقال ابن هشام (ت٧٦١هـ): ((ويسهلُ ذلك شيئًا ما على تقدير: قليلًا نعتًا للظرف؛ لأنَّهم يتسعون في الظرف...))[٣٨].

أمَّا ما ذهبَ إليه الطَّبريّ في تأويل قوله: (قليلًا ما يؤمنون)، فمعناه: أخبر عَنْهم أنَّهم قليلو الإيمان، نجدّه يرد قول قتادة- فيما ذهبَ إليه مِنْ أنّ معناه: قليل مَنْ يؤمن مِنْهم- بقول معمرة، وكونه يتفقُ مَعَ قوانينَ العربية؛ لذلك نصب قوله: (فقليلًا)؛ لأنَّهُ نعت للمصدر المتروك ذكره، ومعناه: بل لعنهم الله بكفرهم، فإيمانًا قليلًا ما يؤمنون- كما أسلفنا- ثُمَّ ذهبَ إلى أنَّه لو كان على ما رُوى مِنْ أنَّهُ يعني به: فلا يؤمن منهم إلّا قليل...، لكان (القليل) مرفوعًا لا منصوبًا[٣٩]؛ أي إنَّ الطَّبريّ كان أكثر دقةً ووضوحًا في توظيف قوانين العربية في تخطئة قول قتادة فيما ذهبَ إليه مِنْ تأويل، يقول في ذلك ((إنَّهُ إذا كان ذلك تأويله، كان (القليل) حينئذٍ مرافعًا (ما). فإذا نصب (القليل)- و(ما) في معنى (من) أو (الذي)-[فَقَدْ] بقيت (ما) لا مرافع لها))[٤٠].

ويؤيد هذا القول ما ذهبَ إليه أبو حيان الأندلسيّ إذْ يقول: ((والأحسنُ مِنْ هذا المعاني كلّها... هو أنْ يكونَ المعنى: فإيمانًا قليلًا يؤمنون؛ لأنَّ دلالة الفعل على مصدره أقوى مِنْ دلالته على الزمان، وعلى الهيئة، وعلى المفعول، وعلى الفاعل، ولموافقته ظاهر قوله تعالى: { فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا }[٤١]))[٤٢].

وممَّا يؤكدُ منهجه التَّحليلي- الذي أشرنا إليه سلفًا- أيضًا والذي يذهبُ به غالبًا إلى وضعِ التَّساؤلات المحتملة والردِّ عليها بتلك العقليَّة الممنهجة، نجده يقول: ولعلَّ قائلًا أنْ يقول: هل كان الَّذينَ أخبر اللهُ عَنْهم أنَّهم قليلًا ما يؤمنون مِنَ الإيمان قليل أو أكثر، فيقال فيهم: (فقليلًا ما يؤمنون)؟ قيل: إنَّ معنى (الإيمان) هو التَّصديق، وقَدْ كانتْ اليهود تصدّق بوحدانية الله، وتكفر بمُحَمَّد – صلى الله عليهِ وآله وسلم- ونبوته؛ لأنَّهُ في كتبِهم، فصدّقوا ببعض. فذلك هُوَ الكثير[٤٣]، ولكن هذا لا يمنع أنْ يلعنَهم اللهُ؛ لأنَّ الإيمان بالقليل مَعَ الكفر بالكثير هو كفر.

نستخلص ممَّا سبق أنَّ الطَّبريّ كان يحاول دائمًا التَّوفيق بينَ المأثور وقوانينَ العربية، ولكن هذا لا يمنع مِنْ أنْ يُخطئ قولًا مأثورًا بالحجّج والبراهينَ بتوظيف تلك القواعد في إيضاح الدَّلالة النَّحوية القُرآنية.

رابعًا: ترجيحُ رأي مأثور؛ لأنَّ دلالتهُ متّفقة مع الدّلالة النَّحويّة الأشهر من كلام العرب:

Fourth: Preference of opinion towards specific sagging due to its conforming reference with the most syntactic meaning in Arabic speech

مِنْ منهجية الطَّبريّ في تفسيره ترجيح التّأويل الذي يتفقُ مع الدّلالة النَّحويّة الأشهر مِنْ كلام العرب، ولا يأخذُ بالدَّلالات النَّحويّة الأخرى إلّا بدليل، أو أنْ يكونَ معها دلالة تدلُّ على خلاف ما ذهبَ، ومثال ذلك: دلالة (إلّا) في قولهِ تعالى: { وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ }(٤٤).

نقلَ الطَّبريّ اختلاف أهلِّ التّأويل في معنى قولهِ: (إلّا ما شاء ربُّك)، وجاء على قولينِ:

الأوّل: (إلَّا ما شاء ربُّك)، منْ قدَر ما مكثوا في النَّار قبل دخولهم الجَنَّة، قالوا: وذلك فيمن أُخرج مِنَ النار مِنَ المؤمنينَ فأُدخلَ الجَنَّة، ونقلَ روايةً عَنْ الضّحاك في معنى ذلك، وإليهِ ذهب الطَّبريّ.

الثاني: (إلَّا ما شاء ربُّك) مِنَ الزيادة على قدر مدّة دوام السَّموات والأرض، وقالوا: وذلك هُوَ الخلود فيها أبدًا(٤٥)؛ لأنَّ ((العربَ إذا ارادتْ أنْ تصفَ الشَّيء بالدَّوام أبدًا، قالت: هذا دائمٌ دوام السَّموات والأرض، بمعنى أنَّهُ دائمٌ ابدًا))(٤٦). هَذا وذكروا في الآية أقوالًا أُخرى أجازها بعضُهم(٤٧).

ونقلَ الطَّبريّ اختلاف أهلِّ العربيةِ في وجهِ الإستثناء في هذا الموضع، قال بعضُهم في ذلك معنيانِ: ((أحدهما: أنْ تجعلهُ استثناءً يستثنيهِ ولا يفعلهُ، كقولك: (واللهِ لأضربنَّك إلَّا أنْ أرى غير ذلك وعزمك على ضربهِ)))(٤٨)، ذكرَهُ الفَرَّاء وابن قتيبة وابن الأنباري(٤٩)، وضعّفَ هذا القول؛ ((لأنَّهُ إذا قال: لأضربنَّك إلَّا أنْ أرى غير ذلك، معناهُ: لأضربنَّك إلَّا إذا رأيت أنَّ الأولى ترك مضرب، وهذا لا يدلّ ألبتّه على أنَّ هذهِ الرّؤية قَدْ حصلتْ أم لا، بخلاف قولهُ: (خالدينَ فيها ما دامتِ السَّموات والأرض..) ... فهَهُنا اللفظ تدلّ... حصلتْ جزمًا، فكيف يحصل قياس هذا الكلام على ذلك الكلام))(٥٠).

وقالوا: (إلَّا) هُنا بمعنى (الواو)، وتأويلها: (خالدينَ فيها مادامتْ السَّموات والأرض وما شاء ربُّك مِنَ الزيادة، واستشهدوا على ذلك ببيت(المخبل السعدي):

وأرى لَهـــا دَارًا بأغـــدِرَةِ الـــ ... سّـــيدان لـــم يَـــدْرُسْ لهـــا رســـمُ

إلّا رمـــادًا هامِـــدًا دَفَعَـــتْ ... عَنْـــهُ الرِّيـــاحَ خوالِـــدٌ سُحُـــمُ

والمراد بإلّا ههنا(الواو)[٥١]؛ لأنَّ(العربَ إذا استثنت شيئًا كثيرًا مَعَ مثله، ومع ما هُوَ أكثر مِنهُ كان معنى (إلّا) ومعنى(الواو) سواء))[٥٢].

ثُمَّ يذهبُ الطَّبريّ إلى أنَّهُ يصلح جعل (إلّا) مكان (سوى)، كأنَّهُ قال : خالدينَ فيها سوى ما زادهم مِنَ الخلود والأبد، ومثّله في الكلام أنْ تقول (: لي عليك ألف إلّا ألفين اللَّذينَ مِنْ قبل فلان) أي: لِي عليك ألف سوى ألفين، وقال- الطَّبريّ- وهذا أحبُّ الوجهينِ إليَّ؛ لأنَّهُ لا خلاف لوعد الله بدليل قوله: (عطاءٌ غير مجذوذ)، فَدلّ أنّ الإستثناء لهم في الخلود غير منقطع عنهم[٥٣]، ((وهذا قول الفَرَّاء، فإنَّهُ يقدّر الاستثناء المنقطع بـ(سوى) وسيبويه ويقدّره بـ (لكن)))[٥٤].

وبعد هذهِ الآراء نجدُ الطَّبريّ، يعتمدُ روايةَ الضّحاك في توضيح دلالة (إلّا)، كونها جاءتْ على الاشهر مِنْ كلام العرب، يقول: ((وأولى الأقوالِ في ذلك عندي بالصّواب، القول الذي ذكرْته عَنْ الضّحاك.... مِنْ قدر مكثّهم في النّار، مِنْ لدُن دخولها، إلى أنْ أُدخلوا الجَنّة، وتكون الآية معناها الخصوص؛ لأنَّ الأشهرَ مِنْ كلام العرب في (إلّا) توجيهها إلى معنى الاستثناء، وإخراج معنى ما بعدها ممّا قبلّها، إلّا أنْ يكونَ معها دلالة تدلّ على خلاف ذلك...))[٥٥] ويؤكد هذا القول ما ذكرَه فخرُ الدين الرازيّ (ت٦٠٦هـ)، إذْ يقول: ((أجمعتْ الأمّة على أنَّهُ يمتنع أن يُقَال أنَّ أحدًا يدخلُ الجَنَّة ثُمَّ يخرج مِنْها إلى النّارِ))[٥٦]، ويقول في موضع آخر: ((وأعلم أنَّهُ تعالى لمّا ذكرَ هذا الاستثناء قال: إنَّ ربَّك فعّالٌ لمّا يريد وهذا يحسن انطباقه على هذه الآية إذا حملنا الاستثناء على إخراج الفسّاق مِنَ النّار، كأنَّهُ تعالى يقول... إنَّي فعّال لما أريد وليس لأحدٍ علي حكم البتة))[٥٧]، وهذا يؤيد-كما أسلفنا- ما ذهِبَ إليه الطَّبريّ في روايةِ الضّحاك مِن جانب أنَّ المستثنينَ هُمْ جماعة قَدْ مكثوا في النّارِ إلى أنْ أدخلوا الجَنّة. ورواية أُخرى عَنْ ابن عباس مِنْ ((أنَّ الاستثناء في حقّ الموحدينَ الَّذينَ يخرجونَ بالشفاعة))[٥٨]،((فكأنَّهُ قال: إلّا ما شاء ربُّك مِنْ إخراج المذنبينَ إلى الجَنّة، وخالدينَ في الجنّة إلّا ما شاء ربُّك مِنْ إدخال المذنبينَ النّار مدّة))[٥٩].

وأرى أنَّ تأويل الطَّبريّ يتفقُ مَعَ مَنْ تناول الاستثناء مِنْ وجهٍ بلاغي، نسَبَهُ القَرافي إلى الكسائيّ قال ((: قال الكسائيّ: الإخراج مِن الاسم وحدّه، فإذا قلنا: قام القومُ إلّا زيدًا، فكأنَّك قلت: قام القوم الَّذينَ مِنْهم زيدٌ، ولم يعرضْ للإخبار عَنْ زيد بقيام، ولا غيره، فيحتمل أنْ يكونَ

قام، أو لم يقمْ))[٦٠]، فيكون تأويل الآية بحسب هذا القول: سُعِدُوا أهل الجنة الَّذينَ مِنْهم ما يشاء ربُّك أنْ يخرجَ مِنَ النّارِ ولم يعرضْ للأخبار عَنْ مَنْ يخرجُ- والله أعلم-.

الخاتمة وأهم النتائج: Conclusions

١. الصور البلاغية في القُرآن يخلقها تركيب نحوي واحد مقصود ، يؤكد صحة المأثور، كما في قوله تعالى: {وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ}[٦١]، بتوجيه دلالة (النّجم) إلى النّبات: مانَجَمَ من الأرض من نبت؛ أي مما ينبسط عليها، لا بمعنى نجم السّماء؛ لعطف (الشّجر) عليه.

٢. يَظهر أثر قوانين العربية في المأثور، عن طريق تخطئة قولٍ لأهل التفسير بالمأثور؛ كونه خارجًا عن أساليب العرب المعروفة، كتخطئة وجود الحذف في (فظنّ) في قوله تعالى﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [٦٢].

٣. إنَّ لقوانين العربية أثرًا في ترجيح الطبريّ لرأي مأثور؛ لأنَّ دلالته جاءت متفقة مع الدلالة النحوية الأشهر من كلام العرب، كدلالة (إلّا) في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [٦٣].

٤. قد تحمل الدّلالة التي يوضحها المأثور أكثر من معنى، ولكن توظيف الطبري لقوانين العربية بالحجج والبراهين تجعلها دلالة واحدة مقصودة، كدلالة (قليلًا) في قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨﴾ [٦٤].

٥. إنَّ أغلب الدلالات النحوية القرآنية الصحيحة تأتي عن طريق تحقيق توازن دلالي بين المأثور وقوانين العربية.

Abstract

The Impact of the Rules of Arabic in the Interpretation of the proverbs in Tafsir Al-Tabari (310 A.H)

Key words: The Arabic rules, Proverbs ,Al-Tabari

Extracted paper from an M.A Thesis

Prof.Dr.Othman Rahman Hameed Al-Araki Zeinab Abbas Mousa Shukur

The recent study sheds light on the impact of the rules of Arabic language (Grammatical ones)on the interpretation of the proverbs which includes a collection of the prophetic traditions(Allah's blessing and peace be upon him), and the sayings of his companions and followers (May Allah well pleased with them)in Tafsir Al-tabari .The interpretation was based on two views; the first was the interpreters' views ,whereas the second was the view of the specialists in Arabic, then to get the semio-syntactic study of Quran. Consequently, the researcher intended the practical aspects applied in number of Quranic verses to elucidate the influence of the Arabic rules on the interpretation of the proverbs.

الإحالات:

(١) ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ١٠٤

(٢) الرحمن: ٦.

(٣) ينظر: جامع البيان: ١١/٢٢، ومعاني القُرآن للفراء: ١١٢/٣، و: مجاز القُرآن: ٢٤٢/٢، و غريب القُرآن لابن قتيبة: ٤٣٦/١، و ينظر: الجامع لأحكام القُرآن: ١٥٣/١٧.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١٢/٢٢، والدرّ المنثور في التفسير بالمأثور: ٦٩٢/٧

(٥) جامع البيان: ١٢/٢٢.

(٦) شرح المفصل: ١٣٥/٣.

(٧) التحرير والتنوير: ٢٣٥/٢٧.

(٨) المصدر نفسهُ: ٢٣٥/٢٧-٢٣٦.

(٩) التحرير والتنوير: ٢٣٦/٢٧.

(١٠) الرعد: ١٥.

(١١) التحرير والتنوير: ٢٣٦/٢٧.

(١٢) جامع البيان: ٥١٥/١٨.

(١٣) الأنبياء: ٨٧.

(١٤) ينظر: معاني القُرآن: ٢٠٩/٢.

(١٥) ينظر: معاني القُرآن وإعرابه: ٤٠٢/٣.

(١٦) ينظر: جامع البيان: ٥١٤/١٨-٥١٥، وقيل : حذفت الألف الاستفهام إيجازًا، قول سليمان أبو المعتمر. ينظر: الجامع لأحكام القُرآن: ٣٣٢/١١.

(١٧) جامع البيان: ٥١٥/١٨، وينظر: تأويل مشكل القُرآن: ٢٣٣/١.

(١٨) إعراب القُرآن للأصبهاني: ٢٤١/١.

(١٩) الخصائص: ٣٦٠/٢.

(٢٠) الشعراء: ٢٢.

(٢١) إعراب القُرآن للنحاس: ١٢١/٣.

(٢٢) جامع البيان: ١١٩/٢١، وينظر: مفاتيح الغيب: ١٨١/٢٢.

(٢٣) تفسير حدائق الرّوح والرّيحان في روابي علوم القُرآن: ٢٢١/١٨

(٢٤) الجملة العربية والمعنى: ٩.

(٢٥) المصدر نفسه: ٥٩.

(٢٦) جامع البيان: ١٢/١.

(٢٧) البقرة: ٨٨.

(٢٨) ينظر:المصدر نفسه: ٣٢٩/٢.

(٢٩) ينظر: مفاتيح الغيب: ٥٩٨/٣.

(٣٠) جامع البيان: ٣٢٩/٢-٣٣٠.

(٣١) ينظر: البحر المحيط: ٤٨٥/١.

(٣٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٤٥/١.

(٣٣) المصدر نفسه: ٣٤٥/١.

(٣٤) ينظر: الكتاب: ٣١٤/٢، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٤٤/١.

(٣٥) معاني القُرآن للفراء: ٥٩/١.

(٣٦) الجملة العربية والمعنى: ٢٠.

(٣٧) آل عمران: ٧٢.

(٣٨) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٤١٧/١.

(٣٩) ينظر جامع البيان: ٣٣٠/٢، والبحر المحيط: ٤٨٥/١.

(٤٠) جامع البيان: ٣٣٠/٢.

(٤١) النساء: ١٥٥

(٤٢) البحر المحيط: ٤٨٥/١.

(٤٣) جامع البيان : ٣٣١/٢.

(٤٤) هود: ١٠٨.

(٤٥) ينظر: جامع البيان: ٤٨٧/١٥، ومعاني القُرآن للفراء: ٢٨/٢، والبحر المحيط: ٢١٣/٦.

(٤٦) جامع البيان: ٤٨١/١٥، وينظر: الاساليب العربية الواردة في القُرآن الكريم واثرها في التفسير من خلال جامع البيان(رسالة ماجستير) : (١٩٤-١٩٦)، إذْ إنَّ الباحث تحدث عن الآية من جانب الاشقياء(الكفّار) ودوامهم في النار، وحديثي هنا عن أهل الجنة الذين يخرجون من النار بدليل قوله: (إلّا ما شاء الله).

(٤٧) قيل: جائز فيه وجه ثالث، هو أن يكون استثنى من خلودهم في الجنة احتباسهم عنها في البرزخ، ينظر: جامع البيان: ٤٨٨/١٥، وقيل: (إلّا) بمعنى (كما)، ذكره الثعلبي، ينظر: زاد المسير: ٤٠٢/٢، وقيل: ((الاستثناء في باب السعداء يجب حمله ... على وجه اخر وهو أنّه ربما اتفق لبعضهم ان يُرفع من الجنة إلى العرش والى المنازل الرفيعة التي لا يعلمها إلّا الله)) مفاتيح الغيب: ٤٠٤/١٨.

(٤٨) جامع البيان: ٤٨٨/١٥

(٤٩) ينظر: معاني القُرآن للفراء: ٢٨/٢، و مفاتيح الغيب: ٤٠٢/١٨

(٥٠) مفاتيح الغيب: ٤٠٢/١٨، وينظر اللباب في علوم الكتاب: ٥٧٠/١٠.

(٥١) ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف بين البصرين والكوفيين: ٢١٨/١(رقم الهامش:١)، والبيت من الكامل، استشهد به الأخفش، ينظر: معاني القُرآن: ١٦٢/١ ولسان العرب: ٤٣٢/١٥.

(٥٢) جامع البيان: ٤٨٨/١٥، وينظر: البحر المحيط: ٢١٣/٦.

(٥٣) ينظر: جامع البيان: ٤٨٨/١٥.

(٥٤) المحرر الوجيز: ٢٠٨/٣، وينظر معاني القُرآن للفراء: ٢٨/٢.

(٥٥) جامع البيان: ٤٨٩/١٥.

(٥٦) مفاتيح الغيب: ٤٠٨/١٨.

(٥٧) المصدر نفسه.

(٥٨) زاد المسير: ٢٠٤/٢.

(٥٩) المصدر نفسهُ.

(٦٠) الاستثناء في التراث النحوي البلاغي: ٢٤.

(٦١) الرحمن: ٦

(٦٢) الأنبياء:٨٧

(٦٣) هود:١٠٨.

(٦٤) البقرة:٨٨.

المصادر والمراجع: References

القران الكريم.

- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربيّ: الأستاذ الدكتور هادي نهر، تقديم: الأستاذ الدكتور علي الحمد، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠٧م.
- جامع البيان في تأويل آي القُرآن: مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبريّ (ت٣١٠هـ)، بتحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- معاني القُرآن: أبو زكريا، يحيى بن زياد الفَرَّاء (ت٢٠٧هـ)، بتحقيق: أحمد يوسف النجاتي، وَمُحَمَّد علي النجار، وعبدالفتاح إسماعيل الجلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١، (د.ت).
- مجاز القُرآن: أَبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصريّ (ت٢٠٩هـ)، بتحقيق: مُحَمَّد فؤاد سزكَين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٣٨١هـ.
- غريب القُرآن: أبو مُحَمَّد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، بتحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- الجامع لأحكام القُرآن (تفسير القرطبي): أبو عبدالله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاريّ الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (ت٦٧١هـ)، بتحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السيوطيّ (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت (د.ط)، (د.ت).
- شرح المفصل: مُوفق الدِّين يعيش بن علي بن يعيش النّحوي (ت٦٤٦هـ)، بتحقيق: الأستاذ الدكتور إبراهيم مُحَمَّد عبدالله، دار سعد الدِّين للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس،(د.ط) ١٩٨٤.

- معاني القُرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت٣١١هـ)، بتحقيق: عبدالجليل عبده الشلبي، عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- تأويل مُشكل القُرآن: أبو مُحَمَّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، بتحقيق: إبراهيم شمس الدِّين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- إعراب القُرآن للأصبهاني: إسماعيل بن مُحَمَّد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيميّ الأصبهاني (ت٥٣٥هـ)، قدمت لَهُ ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية– الرياض، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جنّيّ الموصلي (ت٣٩٢هـ)، بتحقيق: مُحَمَّد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، المكتبة العلميّة،(د. ط) (د. ت).
- إعراب القُرآن: أبو جعفر النّحاس (ت٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- مفاتيح الغيب: أبو عبدالله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن التيميّ الرازيّ الملقب بـ (فخر الدين) (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- تفسير حدائق الرّوح والريحان في روابي علوم القُرآن: الشّيخ العلامة مُحَمَّد الأمين بن عبدالله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، بتحقيق: الدكتور هاشم مُحَمَّد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان،(د.ط) (د.ت).
- الجملة العربيّة والمعنى: د. فاضل صالح السامرائيّ، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٠م.
- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن حيان المقلب بـ (أثير الدِّين) الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، بتحقيق: مُحَمَّد صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، (د.ط)،١٤٢٠هـ.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القُرآن وتفسيره: أبو مُحَمَّد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني (ت٤٣٧هـ)، بتحقيق: مجموعة رسائل في كليّة الدراسات العليا، جامعة الشارقة، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسُنّة، ط١، ٢٠٠٨م.
- الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب (سيبويه) (ت١٨٠هـ)، بتحقيق: عبدالسلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن يوسف، أبو مُحَمَّد، جمال الدِّين، ابن هشام (ت٧٦١هـ)، بتحقيق: مازن المبارك، وَمُحَمَّد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.
- الأساليب العربيّة الواردة في القُرآن الكريم وأثرها في التفسير من خلال جامع البيان للطبري: فوّاز منصر سالم الشاووس، مركز تفسير للدراسات القُرآنية، الرياض – المملكة العربيّة السعودية، (أصل الكتاب: رسالة ماجستير)، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدِّين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني (ت٧٧٥هـ)، بتحقيق: الشّيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النَّحويّين البصريين والكوفيّين: أبو البركات مُحَمَّد بن عبدالرحمن الملقب بـ (كمال الدِّين الأنباريّ) (ت٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو مُحَمَّد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، بتحقيق: عبدالسلام عبدالشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدِّين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزيّ (ت٥٩٧هـ)، بتحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الاستثناء في التراث النحوي والبلاغي: الدكتور كاظم إبراهيم كاظم، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
- لسان العرب: مُحَمَّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدِّين ابن منظور الأنصاريّ (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.